

في سر المعمودية^(١)

بقلم المثلث الرحمة مار طيماتاوس يعقوب موصلية

مطران دير مار متي (+١٩٦٦)

ينشره بالطبع قداسة سيدنا البطيريك

مار إغناطيوس زكّا الأول عيواص

العماد سر مقدس به نولد ميلاداً ثانياً من الماء والروح «يو ٣: ٥»، ووسيلة ضرورية للخلاص. فهو أول أسرار الكنيسة وأقدسها عهداً، فقد أعطى الله تعالى رمزه لإبراهيم بأن يختن كل ذكر «تك ١٧: ٩-١٤» وقد مارسه الكنيسة اليهودية منذ ذلك الحين إلى مجيء ربنا الذي اختتن هو نفسه وختم بعماده الختان، وابتدأ بعهد جديد واضحاً أساساً سر العماد المقدس، وقد اعتمد السيد له المجد لا لأنه كان محتاجاً إليه بل ليعلمنا أن نقتفي خطواته.

والكنيسة مارست هذا السر العظيم منذ نشأتها وإلى الآن وسوف تمارسه إلى مجيء ربنا ثانية واضحة أساسها على دعائم قوية، وسنبين ذلك ببراهين راهنة وهي:

أولاً: الكتاب المقدس.

ثانياً: أقوال الآباء.

ثالثاً: أقوال المجامع.

○ أولاً: براهين الكتاب المقدس

قلنا سابقاً أن العماد ضروري للخلاص، وذلك واضح من قول ربنا لنيقوديموس: «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح القدس لا يدخل ملكوت

(١) - عن مخطوط كتاب القلاهد الياقوتية في عقائد وطقوس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية تأليف الأب الراهب يعقوب سليمان موصلية (مطران دير مار متي بعدئذ) وضعه عام ١٩٣٣.

السماوات» (يو ٣: ٥) وقال أيضاً: «من آمن واعتمد خلص ومن لم يؤمن يُدَنّ» (مر ١٦: ١٦). والعهد الجديد مشحون بالنصوص الدالة على عظم هذا السر. فعندما خرج الرسل حسب أمر معلمهم القائل لهم: «اذهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم باسم الآب والابن والروح القدس» (مت ٢٨: ١٩) وطافوا في كل المسكونة (مز ١٩: ٤) يتلمذون ويعمدون الداخلين في الإيمان حديثاً وعمدوا عائلات جمّة وجموعاً غفيرة وأفراداً كثيرة كما أخبرنا سفر الأعمال (أع ٢: ١٨ و ١٦: ١٥ و ١ كو ١: ١٦)، وعلاوة على ذلك فقد سلموا هذا السر المقدس إلى خلفائهم (الأساقفة والكهنة) من بعدهم، وتأييداً لقولنا سنورد هنا بعض النصوص الكتابية المصرحة برفعة شأن هذا السر العظيم.

قال مار بولس الرسول: «الذي خلصنا ودعانا دعوة مقدسة لا بمقتضى أعمالنا بل بمقتضى القصد والنعمة التي أعطيت لنا في المسيح يسوع»، وقال أيضاً: «لأن كلكم الذين اعتمدتم بالمسيح قد لبستم المسيح» (غلا ٣: ٢٧). وقال مار بطرس الرسول: «الذي مثاله يخلصنا نحن الآن أي المعمودية، لا إزالة وسخ الجسد بل سؤال ضمير صالح عند الله بقيامة يسوع المسيح» (١ بط ٣: ٢١) هذا ما اكتفينا بسرده من النصوص الكتابية حياً بالاختصار.

○ ثانياً: أقوال الآباء

لقد وضع آباء الكنيسة المسيحية في كل سر من أسرارها كتباً ومجلدات ضخمة مؤيدين إياه من الكتاب العزيز بأدلة ساطعة وحجج قاطعة لا يقدر المخالفون نقضها أو رمي أدنى شائبة أو عيب بشيء لقداستها، أو يمس طهارتها. باذلين النفس والنفيس في إظهارها وإزاحة الستار عنها، مقاومين مخالفيها. وقد رصعوها بدرر أقوالهم ورتبوا بنفثات أقلامهم، بيد أن ذلك لم يكن من أنفسهم: «لأن لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي يتكلم فيكم» (مت ١٠: ٢٠) «عالمين هذا أولاً أن كل نبوة الكتاب ليست من تفسير خاص، لأنه لم تأت نبوة قطّ بمشيئة إنسان بل تكلم أناس الله القديسون مسوقين من الروح القدس» (٢ بط ١: ٢٠ - ٢١).

قال عالما اللاهوتي موسى بركيفا المتوفى سنة ٩٠٣م: «المعمودية هي واحدة بيد أنها تطهر النفس والجسد، فتطهر النفس من الخطايا، والجسد من الوسخ» (في تفسيره للمعمودية). وقال علامتنا النحرير مار سويريوس يعقوب البرطلي المنقل سنة ١٢٤١م «إن الإنسان مركب من جسد ونفس فالنفس هي روحانية غير منظورة، والجسد مجسم منظور وملموس، لأن الإنسان مركب من اثنين يجب أن يكون له تطهيران: الواحد روحاني يفيد النفس، والثاني جسدي يفيد الجسد. فالماء مظهر للجسد لأنه مادة مثله، بيد أنه لا يظهر النفس لأن النفس ليست بمادة ولهذا يحتاج الإنسان إلى تطهيرين: جسدي بواسطة الماء، وروحي بواسطة الروح الحال في الماء» (صحتة) - الكنوز الركن الثاني ف ٣٦). وقال علامتنا الكبير مار غريغوريوس بن العبري (١٢٢٦ - ١٢٨٦) «إن العماد هو انتساب إلى الله تعالى بواسطة التطهير، أعني الانتقال من الحياة الدنيا إلى الحياة الروحانية الرفيعة» (حجا - أشعة م ٧ ب ٣ ف ١). وقال مار غريغوريوس الثالوغوس: «هل عندك طفل فلا يأخذن فيه الشر فرصة بل ليقدم وهو رضيع. وليكرس للروح منذ نعومة أظفاره» (خطاب في المعمودية). وقال العلامة أوغسطينوس: «إن الكنيسة كانت دائماً متمسك وتعمد الأطفال متسلمة إياه من آثار السلف ولم تزل محافظة عليه إلى الآن، وسوف تحفظه إلى الانقضاء» (خطابه ١١٧). وقال القديس إيريناوس: «إن يسوع المسيح أتى لكي يخلص جميع البشر أعني الذين ولدوا ثانية لله سواء كانوا أطفالاً أم شباباً أم شيوخاً» (ضد هرطقة ٢٢٠ ف ٥ - ١٥). وقال العلامة أوريجانوس: «إن الكنيسة تسلمت من الرسل تقليد عماد الأطفال أيضاً فالأطفال يعمدون لمغفرة الخطايا ليغتسلوا من الوسخ الجسدي بسر المعمودية» (ك ٥: ٢ على رومية. وم ٤ على لوقا).

○ ثالثاً: أقوال المجامع

قرر مجمع قرطجنة وحثم على عماد الأطفال بقوله: «إن كان من ينكر أن المعمدين من الأولاد الصغار المولدين حديثاً من بطون أمهاتهم يعمدون لمغفرة الخطايا أو يعترف بذلك ولكنه يزعم أنهم لم يشتركوا في شيء من الخطيئة المحتاجة إلى التطهير بحميم الميلاد الثاني، فليكن مفروزاً» (ق ١٢٤).

وورد في قوانين الرسل المرسله على يد إقليميس تلميذ بطرس الرسول ما نصه: «ومن أمكنه العماد في اليوم والوصول إلى هذا الخير فلا يؤخره إلى الغد. ولا ينتظر به حضور الوالدين ولا الأصدقاء ولا يؤخر بسبب ملبوس يتباهى به ولا يتوقف على تعמיד مطران أو أسقف أو قسيس ملائكي السيرة، ففوة المعمودية واحدة متساوية إنما يطلب فيه ألا يكون الكاهن غريباً من الكنيسة ولا ممن مذمته ظاهرة ولا يمتنع الغني أن يعمد معه الفقير، ولا المالك أن يعمد معه مملوك» (كتاب القوانين للصفوي رسطب ٢٣٤ طبعة مصر).

فالعماد إذاً واجب وضروري للأطفال أولاً، وليس لأنهم هم أخطأوا بل لأنهم مولودون بالآثام (مز ٥١: ٥) كقول بولس الرسول: «بإنسان واحد دخلت الخطية إلى العالم، والخطية الموت وهكذا اجتاز الموت إلى جميع الناس إذ اخطأ الجميع» (رو ٥: ١٢). ولكل واحد ثانياً لأن قول السيد المسيح: «من آمن واعتمد خلص» (مر ١٦: ١٦) وهذا القول يشمل الجميع بلا استثناء كبيراً كان أم صغيراً.

ولا تعاد المعمودية مطلقاً لأنها واحدة (أف ٤: ٥)، وهي مثال موت الرب ودفنه (رو ٦: ٤)، فالمسيح لم يموت غير مرة واحدة (رو ٦: ٩) فمن أعادها فكأنه يصلب المسيح مرة ثانية (عب ٦: ٦ و ١٠: ٢٦). قال الذهبي الفم: «قد دفنا معه في المعمودية للموت، وكما أنه غير ممكن أن يصلب المسيح مرة ثانية هكذا لا يقدر من قد أعتمد مرة واحدة أن يقبل معمودية ثانية» (على عب م ١١: ٣)، وقال القديس يعقوب الرهاوي إن المسيحي الذي يمرق ثم يرجع ثانياً لا نعمده، بل يصلي عليه رئيس الكهنة صلوة التائبين محدداً زمان التوبة واضعاً له بعض الشروط التي إذا أكملها يشركه في الأسرار المقدسة» (الهدايات لابن العبري ب ٣ عن المعمودية).

غير أن الكنيسة ترفض معمودية الهراطقة الذين يهتدون كما أثبت ذلك ابن العبري في كتاب الهدايات عن الدسقولية ما نصه: «كل أسقف أو قس يقبل معمودية الهراطقة يسقط عن درجته» (ب ٢ ف ١)، وقال أيضاً في كتاب - الحيا - الأشعة ما نصه: «إن المعمودية هي واحدة كما قرر مجمع نيقية قائلاً: نعترف بمعمودية واحدة لغفران الخطايا بيد أننا نعمد السابيليين^(١)

(١) - نسبة إلى سابيلوس الذي اعتقد بأن الآب والأبن والروح القدس أقنوم واحد غير أنهم يختلفون في الأسماء فقط.

والآريوسيين^(١) والمقدونيين^(٢) والأونوميين^(٣) والأبوليناريين^(٤) والأوطاخيين^(٥) الذين يرجعون لأنهم لا يعتقدون اعتقاداً صحيحاً باللاهوت ولم يعتمدوا باسم الآب والابن والروح القدس، أما النساطرة^(٦) وأشياح يولييانوس^(٧) وأتباع لاوون^(٨) فلا نعمدهم لأنهم إنما يختلفون عنا في عقيدة التجسد الإلهي فقط» (الحكا - الأشعة م ٧ ب ٣ ف ١)، وقال في كتاب الهدايات: «إن الذين يرتدون عن مذهب بولس السميساطي^(٩) نعمدهم عماداً كاملاً».

وورد في قوانين الرسل ما نصه: «كل أسقف أو قس عمد ثانية من كانت معموديته حقيقية، أم من لم يعمد من الكفرة، فليقطع بما أنه يستهين بصليب الرب وبموته، غير مميز الكهنة الحقيقيين من الكهنة الكذبة» (ق ٤٧).

أصحاب السلطة في تميم هذا السر

إن الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية تمارس سر العماد منذ العصر الرسولي وإلى الآن وستمارسه حتى انقضاء الدهر، وهو منوط بالأساقفة والكهنة فقط بحسب أمر مخلصنا القائل لتلاميذه: «فادهبوا وتلمذوا جميع الأمم وعمدوهم» (مت ٢٨: ١٩ و مر ١٦: ١٦)، وإنجازاً لهذا الأمر خرج الرسل بعد قبولهم موهبة الروح القدس إلى العالم أجمع وتلمذوا الذين آمنوا

(١) - نسبة إلى آريوس القس الإسكندري الذي أنكر لاهوت ابن الله وحرمت بدعته في المجمع النيقاوي سنة ٣٢٥م.

(٢) - نسبة إلى مقدونيوس بطريرك القسطنطينية، الذي اعتقد بأن الابن ليس مساوياً للآب في الجوهر بل يشبهه في كل شيء، وأن الروح القدس مخلوق وخدام للابن.

(٣) - نسبة إلى أونوميوس الذي اعتقد بأن الله الكلمة لم يأخذ من مريم سوى الجسد فقط بدون نفس، وإن اللاهوت حل محل النفس.

(٤) - نسبة إلى أبوليناريوس الذي اعتقد بأن ناسوت السيد المسيح بلا نفس ولا عقل.
(٥) - نسبة إلى أوطاخي الذي اعتقد أن جسد السيد المسيح لم يكن كأجسادنا بل هو كما شاء خلق له جسداً خيالياً في أحشاء مريم البتول فامتزج معه وصار بذلك طبيعة واحدة مختلطة ممتزجة.

(٦) - نسبة إلى نسطور بطريرك القسطنطينية الذي اعتقد بما يخص تجسد الرب قائلاً: «إن الآخذ شيء والمأخوذ شيء آخر، وإنه ذو طبيعتين وأقنومين، والآخذ أي ابن الله الكلمة هو ابن الآب بالطبع، والمأخوذ أي الناسوت هو ابن الله بالنعمة لأنه يتبع الكلمة الذي أخذته».

(٧) - نسبة إلى يولييانوس الخيالي الذي جحد آلام السيد المسيح الطبيعية البرينة قائلاً: «إنه بواسطة اتحاد اللاهوت بالناسوت صار جسده غير متألم».

(٨) - نسبة إلى لاوون أسقف رومية الذي اعتقد بأن المسيح أقنوم واحد يعرف بطبيعتين متميزتين بلا انفصال وهو ذو مشيبتين وفعلين.

(٩) - نسبة إلى سميساط الواقعة بين النهرين بقرق الفرات، سيم أسقفاً على أنطاكية سنة ٢٦٠م وقد جندف على سر الثالوث الأقدس منكرًا لأقنومي الابن والروح القدس زاعماً أن الله مع كلمته واحد كما إن الإنسان مع كلمته واحد.

وعمدوهم بحسب أمر معلمهم. وهم أيضاً سلموه إلى خلفائهم الأساقفة والكهنة من بعدهم وأمرؤهم بممارسته وتسليمه لغيرهم.

ولا يسوغ لأحد ما عدا الأساقفة والكهنة تكميل هذا السر وفقاً للأوامر الرسولية القائلة: «إننا لا نسمح بحق التعميد لأحد من الإكليروسيين مثل القارئ والمرتلين والبوابين والخدمة إلا للأساقفة والقسوس وحدهم الذين يخدم معهم الشماسة» (ك ٣ ف ١١)، وورد أيضاً في الدسقولية: «لا يعمد إلا أسقف أو قسيس والشماسة معهم» (دس ٢١).

وقد نص عن ذلك أيضاً ابن العبري في كتاب الهدايات عن الرسل قائلاً: «كل أسقف أو قس يعمد بدون أن يذكر الأب والابن والروح القدس يقطع» (الهدايات ب ٢ ف ١)، وقال مار إغناطيوس النوراني: «لا يُسمح لكم أن تعمدوا بدون أسقف ولا أن تقدموا قرابين ولا أن تقدموا دبيحة». وقال ترتليانوس: «إن السلطة في تتميم المعمودية منوطة بالأسقف ثم بالقسوس مع الشماسة. ولكن لا بدون إذن من الأسقف لشرف الكنيسة» (في كلامه عن المعمودية).

أما الشماسة فلم ينط بهم شيء من هذا السلطان وإن كان الشماس فيلبس قد عمد كثيرين (أع ٨: ١٣) فإن ذلك كان لدواع ضرورية، وفي أوقات خاصة والدليل على ذلك عدم حلول الروح القدس على المعتمدين منه كما يخبرنا سفر الأعمال: «لما سمع الرسل الذين في أورشليم أن السامرة قد قبلت كلمة الله أرسلوا إليهم بطرس ويوحنا اللذين لما نزلا صلياً لأجلهم لكي يقبلوا الروح القدس، لأنه لم يكن قد حل بعد على أحد منهم غير أنهم كانوا معتمدين باسم الرب يسوع» (أع ٨: ١٤ - ١٧).

لذلك أجاز الأباء للشماسة أن يعمدوا لأمر ضروري أي إذا طرأ على الطفل المعتمد مرض فجائي منذر بالخطر وتعذر استدعاء الكاهن حالاً لتتيم السر، أو كان الأسقف أو القس غائبين» (ترتليانوس «في المعمودية ١٨») وكيرلس الأورشليمي عظة ١٧: ٣) وقد ورد في القوانين الرسولية لا يعمد الشماس بدون ضرورة (ك ٨ ف ٢٨) وقال القديس أيبفانيوس: «أنه بحسب النظام الكنسي لا يتم الشماسة سراً من الأسرار لكنهم يخدمون الأسرار، غير أنه حينما تدعو الضرورة يسمح للعلمانيين أيضاً أن يعمدوا» (في المعمودية).

في المعتمدين والأشابين في المعتمدين

اعتادت الكنيسة المقدسة أن تعدد أولادها في اليوم الثامن وإلى الأربعين وذلك لأن المؤمنين في العهد القديم كانوا يختتنون في اليوم الثامن (تك ١٧: ١٢ ولا ١٢: ٣ ولو ٢: ٢١)، والختان في العهد القديم كان رمزاً إلى العماد في العهد الجديد كما أسلفنا. فلا يجوز أن تطول مدة القيام بعماد الأطفال أكثر من أربعين يوماً خوفاً من موت الفجأة. لأنهم إذا ماتوا قبل العماد لا يعاينون مجد المسيح كقوله الطاهر: «إن كان أحد لا يولد من الماء والروح لا يدخل ملكوت الله» (يو ٣: ٥)، ولكنهم لا يعذبون أيضاً لأنهم لم يرتكبوا ذنباً شخصياً بل خطيتهم الأصلية قد ورثوها من أبيهم آدم. وهذا ما قاله القديس غريغوريوس الثالولوجوس: «إن الأطفال غير المعتمدين إذا ماتوا لا يمجدون ولا يعذبون من الديان العادل لأنهم وإن كانوا غير متتورين وغير مقدسين بالمعمودية فإنهم لم يخطئوا خطية شخصية، ولذا لا يستحقون كرامة ولا قصاصاً» (في الخطايا ١٦).

وأما إذا كان المؤمنون كبار السن حديثي الدخول في الإيمان فتبقيهم الكنيسة مدة بدون عماد تعلمهم في خلالها الأصول الإيمانية وتدريبهم على الانخراط في سلك الديانة المسيحية كما وضع ابن العبري في كتاب الهدايات: «إن الموعوظين يوعظون ثلاث سنوات» (الهدايات ب ٣ ف ٤)، وقبل العماد يبحث عن سيرتهم ورسوخ قدمهم في الإيمان، فإن كانوا قد فعلوا كل شيء حسناً فليعتمدوا وإلا فلا، كما ورد في قوانين الرسل: «من استعد للتعميد فليبحث عن سيرته هل أكمل كل شيء حسناً، فإذا شهد لهم الآتون بهم أنهم فعلوا هكذا فليسمعوا الإنجيل من اليوم الذي يقدمونهم فيه فإذا قرب اليوم الذي يعمدونهم فيه فليستحلف الأسقف كل واحد منهم لكي يعرف أنهم أطهار، وإذا كان واحد ليس طاهراً فليعزل ناحية لأنه لم يسمع الكلام بأمانة» (المجموع الصفوي ب ٣ ص ٢٠)، فالموعوظون إذاً لا يعمدون قبل كمال المدة إلا إذا طراً عليهم دنوؤ الأجل كقول ابن العبري في كتاب الهدايات» (باب ٢ ف ٥).

الجبالي لا يمنع عن العماد متى شئن كما قرر مجمع قرطجنة: «والجبالي لا يمنع عن العماد أي وقت شئن وليس بين الولد والوالدة شركة في المعمودية لأن كل إنسان يجب أن يظهر إقراره منفرداً» (ق ٨٣).

وأما اللقطاء فلا يمنعون عن العماد كما قرر مجمع قرطجنة ق ٨٣: «وإذا لا يوجد شهود ليقولوا إن الأطفال قد اعتمدوا وهم أيضاً (الأطفال) لا يقدر أن يجاوبوا عن السر المعطى لهم، فقد تقرر أن يعمدوا بدون أقل ريب لكي لا يحرّمهم هذا الشك من التطهير الذي يمنح لهم بواسطة السر المقدس»، وأما الممنوعون عن العماد فهم:

١ - المجانين والممسوسون: لأن بهم شيطان ولا يسوغ أن يعطى سر المعمودية لثلاثيهان من الشيطان، وقد نهت الكنيسة المقدسة في العصور الغابرة عن ذلك بغم آباؤها منهم العلامة ابن العبري بقوله: «من كان به شيطان لا يعمد إلا في ساعة الاحتضار» (ب ٢: ف ٢) لأنه عند احتضاره تهرب عنه الأرواح الشريرة وذلك بمناسبة عماده وتناوله الأسرار المقدسة وحضور الملائكة لقبض نفسه.

٢ - المرأة التي لها سيل حيض أو طمث لأنها نجسة (لا ١٥: ١٩) وقد نصت عن ذلك قوانين بوليدس: «إن المرأة الطمثة لا تعمد حتى تطهر» (المجمع الصفوي ب ٣ ص ١٩) ولكن إن فاجأها الموت وكان ذلك قبيل تطهيرها كما أشار ابن العبري قائلاً: «والمرأة الحائض لا تعمد إلا في ساعة الاحتضار» (الهدايات: ب ٢ ف ٢).

الأشابين

قال موسى بركيفا في تفسير المعمودية إن الأشبين له أربعة أسماء وهي:

١ - معحصلاً «إشبين» ومعناه الرفيق ويسمى كذلك لأنه يرافق المعتمد في المعمودية فيكفر بالشيطان ويقر ويؤمن بالثالوث الأقدس نيابة عنه كأنه الرفيق الأكبر الأمين عن رفيقه الصغير، لأنه غير قادر أن يجاوب عن نفسه.

٢ - حدحاً «كفيل» إي عندما يحمله على ذراعيه أمام الله وكنيستته كأنه يتكفل به بأنه سيكون له خير مرشد إلى طريق الحق والصواب.

٣ - مصلحياً. «مههبا» «معلم أو مرشد» دعي كذلك لأنه تكفل في تعليمه وإرشاده. وفعلاً عندما يبلغ سن الرشد يعلمه أصول الديانة ويحثه على أن يتمسك بأهداب الفضيلة، وأن يكون مؤمناً بكل ما تؤمن به الكنيسة المقدسة إلى نهاية حياته، متمسكاً بجميع شعائر الديانة الطاهرة.

٤ - منحا «قريب» دعي كذلك بما أنه حملته على ذراعيه عند عماده وتكلم عنه وعند بلوغه سن الرشد يعلمه أصول الديانة ويهذبه تهذيباً مسيحياً حسناً ويحثه على التمسك بأهداب الفضيلة وبجميع شعائر الديانة المقدسة فصار بهذا أقرب الناس إليه. وهذه القرابة قد تمنع الزيجة بين آلهما كما حدد ابن العبري (الهدايات ب ٨ ف ٣ في موانع الزيجة).

وبما أن وظيفة الأسبين سامية جداً يجب أن ينتخب الوالدان لولدهما أسبيناً حسناً، وإذا كان المعتمد يتيماً فالكنيسة تقدم أسبيناً، ممن كان مشهوداً لهم بالحكمة والعقل الثاقب، وأن يكون مؤمناً أرثوذكسياً غيوراً كي ينشأ الطفل مطبوعاً على هذه الأوصاف المحمودة، وقبل أن يقبل المعتمد يجب عليه (الأسبين) أن يعترف ويتناول الأسرار المقدسة لأنه يقترب من سر مقدس وعمل سام، فهكذا ينبغي عليه أن يتطهر قبل الإقدام عليه. ثم يجب أن يراعى هذا بكل دقة وهو: «إن الذكر يقبل الذكر والأنثى تقبل الأنثى» كما أشار إليه ابن العبري نقلاً عن جاورجي (الهدايات ب ٢ ف ٣).

في أنواع المعمودية

إن المعمودية التي اعتمدنا بها هي لمحو الخطايا الأصلية وهناك أنواع أخرى للعماد يخلص المعتمد بها. وقد أجازتها الكنيسة استناداً إلى شهادات الكتاب المقدس وإليك بيانها:

١ - معمودية الشوق: قد يشتاق المعتمد إلى العماد ولكن لم يتيسر له أن يعتمد لدواعٍ ضرورية ثم قضى قبل العماد كما حدث للص اليمين إذ قبله الرب بلا عماد (لو ٢٣: ٤٣).

٢ - معمودية الدم (الاستشهاد): وهي التي اعتمد بها الشهداء إذ تلتخخوا بدماء أعناقهم قبل العماد، ومنهم أطفال بيت لحم الذين أوردتهم حتفهم ظلماً هيرودس الطاغية (مت ٢: ١٦).

٣ - معمودية النار: وهي التي اعتمد بها كثيرون من المؤمنين روحياً قبل العماد. إذ كان يحرقهم نيران الظالم، وذلك لأن النار هي منقية، كقول النبي إشعيا: «نقى الرب دم أورشليم من وسطها بروح القضاء وبروح الإحراق» (إش ٤: ٤).

٤ - معمودية الآلام: وهي التي قال عنها السيد المسيح لتلميذه يعقوب ويوحنا: «أستطيعان أن تشربا الكأس التي أشربها أنا، وإن تصطبغا بالصبغة التي اصطبغ بها أنا» (مت ٢٠: ٢٢ ومر ١٠: ٣٨). فلا شك إن تلك الصبغة هي معمودية الآلام كما أيدها له المجد قائلًا: «ولي صبغة اصطبغها، وكيف أنحصر حتى تكمل» (لو ١٢: ٥٠).

٥ - معمودية التوبة الخالصة: أو الحقيقة والتنهيدات الحارة والدموع السخية التي يقدمها الخاطيء، فيغسل بها نفسه وجسده ويطهرها من كل أدناس الخطيئة. وهي التي اغتسل بها داود النبي من إثمه إذ قال: «تعبت في تنهدي أعوم كل يوم سريري في دموعي أدوب فراشي» (مز ٦: ٦).

هذا ما أجازته الكنيسة عند الضرورة وعدم وجود كاهن ليكمل السر، وذلك كإنسان قبل الدين المسيحي وليس هناك كاهن ليعمده فقصد بلدة ما ليعتمد فقصى عليه في الطريق قبل العماد إما قتلاً أو غرقاً أو حرقاً أو أفتراساً من الوحوش وما إليها.

وتأييداً لموضوعنا نورد بعض الإيضاحات التي ثبتها ابن العبري في كتابه *حكاية الأشعة* وابن الصليبي في تفسير إنجيل (متى ٣: ١).

- ١ - معمودية الطوفان (تك ٧: ١٠).
- ٢ - معمودية البحر الأحمر والسحابة (كو ١٠: ٢).
- ٣ - معمودية موسى للتطهير (مر ٧: ٣ - ٤ و يو ٢: ٦).
- ٤ - معمودية يوحنا للتوبة وغفران الخطايا (مر ١: ٤).
- ٥ - معمودية السيد المسيح بالروح القدس والنار (مت ٣: ١١).
- ٦ - معمودية الدم.
- ٧ - معمودية الدموع.
- ٨ - معمودية النار.

